السياسة العمرانية للطولونيين في مصر

(٢٥٤ – ٢٩٢ هـ / ٨٦٨ – ٩٠٥ م)

The urban policy of the Tulunids in Egypt

(254 – 292 AH / 868 – 905 AD)

م.م. نعمان جاسم محمد إسماعيل

M.M. Noman Jassim Mohammed Ismail

جامعة سامراء – رئاسة الجامعة

Samarra University – University Presidency

E-mail: noamanjassim@uosamarra.edu.iq

الكلمات المفتاحية: احمد بن طولون، الدولة الطولونية، العمران الإســـلامي، مدينة القطائع، جامع احمد بن طولون، الشرعية السياسية، الاستقلال عن الخلافة العباسية.

Keywords: Ahmad ibn Tulun , Tulunid State , Islamic Urbanism , Al-Qata'i City , Ahmad ibn Tulun Mosque , Political Legitimacy, Independence from the Abbasid Caliphate

الملخص

يتناول هذا البحث دراسة شاملة للدولة الطولونية بوصفها أول تجربة استقلال سياسي وإداري في مصر عن الخلافة العباسية منذ الفتح الإسلامي، مع التركيز على أبعادها التاريخية والعمرانية ومظاهر التأثر الحضاري. يبدأ البحث بتتبع نشأة الأسرة الطولونية، من أصولها التركية في إقليم فرغانة إلى بروز أحمد بن طولون كحاكم فعلي لمصر منتصف القرن الثالث الهجري، مستفيداً من ضعف الخلافة العباسية وتفكك سلطتها المركزية. كما يُبرز البحث مراحل تأسيس الدولة الطولونية، من تمكينها الإداري والعسكري إلى توسعها في بلاد الشام، مروراً ببناء عاصمتها الجديدة (القطائع) وجامعها الشهير، الذي يُعد من أهم معالم العمارة الإسلامية في مصر. ويتناول البحث كذلك أسباب انهيار هذه الدولة بعد وفاة خمارويه، نتيجة لتدهور اقتصادي، وفساد إداري، وصراعات داخلية، ما مهّد لعودة الحكم العباسي سنة ٢٩٢هـ. وفي المبحث الثاني، يناقش البحث المظاهر العمرانية البارزة في العهد الطولوني، مثل القصور، والجوامع، والكتاتيب، والأربطة، ويحلل كيف مثّلت هذه المنشآت مزيجاً فريداً من الطراز العباسي والتقنيات المعمارية المحلية المصرية (الفرعونية والقبطية)، مما أنتج طرازاً خاصاً يعكس هوية سياسية–عمرانية مستقلة. أما المبحث الثالث، فيسلّط الضوء على أوجه التأثر المعماري للطولونيين، في ثلاثة محاور: أولها التأثر بالعمارة العباسية (خصوصاً الطراز السامرائي)، وثانيها استيعاب الخصوصيات المعمارية المصرية، وثالثها الإبداع الطولوني الخاص الذي شكّل نواة للطراز الإسلامي المصري في العصور اللاحقة. كما يتتبع البحث انعكاسات هذا التأثر على مؤسسات الدولة (كالقصور والمدارس)، واستمراره في الدولة الإخشيدية والفاطمية، مما يثبت أن الدولة الطولونية لم تكن مجرد مرحلة انتقالية، بل محطة مؤسسة للهوية السياسية والعمرانية الإسلامية في مصر.

Abstract

This research offers a comprehensive study of the Tulunid state as Egypt's first experience of political and administrative independence from the Abbasid Caliphate since the Islamic conquest, focusing on its historical and urban dimensions and cultural influences. The research begins by tracing the emergence of the Tulunid dynasty, from its Turkish origins in the Fergana region to the emergence of Ahmad ibn Tulun as the de facto ruler of Egypt in the mid-third century AH, taking advantage of the weakness of the Abbasid Caliphate and the disintegration of its central authority. The research also highlights the stages of the establishment of the Tulunid state, from its administrative and military empowerment to its expansion into the Levant, including the construction of its new capital (al-Qat'i') and its famous mosque, considered one of the most important landmarks of Islamic architecture in Egypt. The research also examines the reasons for the collapse of this state after the death of Khumarawayh, as a result of economic decline, administrative corruption, and internal conflicts, which paved the way for the return of Abbasid rule in 292 AH. In the second section, the research discusses the prominent urban features of the Tulunid era, such as palaces, mosques, Kuttabs, and ribats. It analyzes how these buildings represented a unique blend of the Abbasid style and local Egyptian architectural techniques (Pharaonic and Coptic), producing a distinct style that reflected an independent political-urban identity. The third section sheds light on the architectural influences of the Tulunid dynasty, along three lines: first, the influence of Abbasid architecture (particularly the Samarrai style); second, the absorption of Egyptian architectural peculiarities; and third, the unique Tulunid creativity that formed the nucleus of the Egyptian Islamic style in later eras. The research also traces the repercussions of this influence on state institutions (such as palaces and schools), and its continuation in the Ikhshidid and Fatimid states, proving that the Tulunid state was not merely a transitional phase, but rather a founding milestone for the Islamic political and urban identity in Egypt.

المبحث الأول: الأسرة الطولونية

نشأتها وظهورها وأسباب انهيارها

اولاً: نشأة الأسرة الطولونية:

تعود أصول الأسرة الطولونية إلى أصول تركية، وتحديداً إلى إقليم فرغانة الواقع في بلاد ما وراء النهر، والذي كان خاضعاً للنفوذ الإسلامي منذ العصر الأموي، ويُعد أحمد بن طولون المؤسس الحقيقي لهذه الأسرة في مصر، وهو ابن أحد المماليك الأتراك الذين استجلبهم الخليفة العباسي المأمون لخدمة الدولة، حيث كان والده "طولون" من المماليك الذين تولّوا مناصب عسكرية رفيعة، وقد أُهدي إلى الخليفة العباسي من قبل ملك بخارى، نشأ أحمد بن طولون في بيئة عسكرية محضة، وتلقى علومه الدينية والعسكرية في بغداد، ثم التحق بالخدمة العسكرية في الدولة العباسية، الأمر الذي مهّده لتولي ولاية مصر سنة ٢٥٤هـ / ٨٦٨م، حين أرسله الخليفة العباسي عن طريق زوج والدته باكباك، والي مصر، ليكون ممثلاً للخلافة هناك. (الشيال، ١٩٧٦، ص٢١٣-٢١٥). وقد استغل أحمد بن طولون حالة الضعف التي كانت تعاني منها الخلافة العباسية، والتنازع بين القادة العسكريين، فتمكّن من بسط نفوذه على مصر، واستقلالها إدارياً ومالياً عن الخلافة، دون إعلان الانفصال الرسمي، وهو ما مهّد لنشوء أول دولة إسلامية مستقلة في مصر منذ الفتح العربي، وهي الدولة الطولونية. (الرافعي، ١٩٣٣، ص٧-١٢).

١- نسب أحمد بن طولون:

ينتمي أحمد بن طولون إلى أصل تركي من إقليم فرغانة، وكان والده "طولون" من المماليك الأتراك الذين أُهْدوا إلى الخلفاء العباسيين ضمن سياسة الاستعانة بالعنصر التركي في الجيش، والتي بدأها الخليفة المأمون وتوسّع فيها المعتصم، وقد ذكر المسعودي أن طولون كان من الأتراك الذين قدموا إلى بغداد في عهد المعتصم، وتم إلحاقه بالحرس التركي، وقد أنجب أحمد في بغداد سنة ٢٢٠هـ تقريباً، من جارية رومية الأصل، فكان أحمد بن طولون بذلك من أبٍ تركي وأمٍ رومية. (المسعودي، ٢٠٠٥، ص٨٢).

وورد في تاريخ الطبري أن أحمد بن طولون نشأ في كنف الدولة العباسية وتربى في بلاطها، وأن والده أُرسل من قبل ملك فرغانة هدية إلى الخليفة المأمون، فأُلحق بالجند، وترقّى حتى أنجب ابنه أحمد الذي شق طريقه في القيادة والإدارة منذ شبابه المبكر. (الطبري، ١٩٦٧، ص٥٥٢).

٢- ظروف قدوم أحمد بن طولون إلى مصر:

قَدِم أحمد بن طولون إلى مصر سنة ٢٥٤هـ / ٨٦٨م، بناءً على أمرٍ من الخليفة العباسي المستعين بالله، وذلك بعد أن ولّى هذا الأخير القائد التركي باكباك ولاية مصر، وجعل من أحمد

بن طولون نائباً عنه لتمثيله في مصر نظراً لعدم قدرة باكباك على الحضور بنفسه، وأن تعيين أحمد بن طولون كان في إطار سياسة العباسيين القائمة على استخدام العناصر التركية في المناصب الإدارية والعسكرية، وهي السياسة التي اتبعها المعتصم واستمرّت في خلافة أبنائه. (الطبري، ١٩٦٧، ٥٥٨).

أن باكباك، والي مصر الجديد، أرسل أحمد بن طولون ممثلاً عنه، نظراً للثقة التي كان يحظى بها لدى الأتراك في بغداد، وكذلك لمعرفته بالسياسة والإدارة، مما أهّله لتولي الشؤون العسكرية والإدارية في مصر، وسرعان ما استغل أحمد بن طولون الانقسامات داخل الدولة العباسية، فبدأ في بسط نفوذه على مفاصل السلطة في مصر، متدرجاً من السيطرة المالية إلى العسكرية. (ابن الأثير، د.ت، ٤٢٨-٤٢٩).

٣- الخلفية السياسية في الدولة العباسية آنذاك:

شهدت الدولة العباسية في منتصف القرن الثالث الهجري اضطرابات سياسية عميقة تمثلت في تصاعد نفوذ القادة الأتراك داخل الجهاز العسكري والإداري، وازدياد تدخلهم في شؤون الخلافة إلى حدّ عزل الخلفاء وتعيينهم، وأن الخليفة المتوكل على الله قُتل سنة ٢٤٧هـ بتحريض من بعض القادة الأتراك، وكان مقتله إيذاناً ببدء ما يُعرف بعصر نفوذ العسكر، حيث تعاقب عدة خلفاء في فترات زمنية قصيرة وسط تدخل مباشر من القادة الأتراك في بغداد. (الطبري، ١٩٦٧، ٥٥٠-٥٥٤).

أن سلطة الخليفة كانت شكلية إلى حد كبير، وأن من يحكم فعلياً هم القادة العسكريون، ومنهم باكباك وبغا الصغير، الذين كان لهم نفوذ واسع في تعيين الولاة على الأمصار، ومنهم والي مصر الذي أرسل أحمد بن طولون نيابةً عنه، وفي ظل هذا التدهور المركزي، بدأت الولايات العباسية، كخراسان ومصر، تشهد نزعات استقلالية، حاول من خلالها القادة المحليون تأسيس سلطات شبه مستقلة، كما فعل أحمد بن طولون في مصر. (اليعقوبي، ٢٠٠٢، ص٤٦٤-٤٦٧).

ثانياً: ظهور الدولة الطولونية:

شهدت مصر في منتصف القرن الثالث الهجري مرحلة مفصلية من تاريخها السياسي، تمثلت في انتقالها من ولاية عباسية خاضعة إلى كيان سياسي شبه مستقل تحت حكم أحمد بن طولون، فقد جاءت هذه التحوّلات في سياق ضعف السلطة المركزية للخلافة العباسية، وتصاعد نفوذ القادة العسكريين من الأتراك، مما أتاح المجال أمام شخصيات طموحة مثل أحمد بن طولون للتمدد في السلطة. (الطبري، ١٩٦٧، ٥٥٦-٥٥٨).

ومنذ أن قَدِم إلى مصر سنة ٢٥٤هـ، بدأ أحمد بن طولون باتخاذ خطوات ممنهجة نحو تثبيت سلطته؛ فسيطر تدريجياً على شؤون الجيش والمالية، حتى تمكّن في عام ٢٥٦هـ من

الاستقلال بإدارة الخراج، وهي الخطوة التي جعلته الحاكم الفعلي للبلاد، ولم يكتفِ بذلك، بل عمد إلى بناء مدينة القطائع، التي مثّلت إعلاناً غير مباشر عن قيام سلطة جديدة ذات كيان مستقل عن الخلافة في بغداد، مع الحفاظ على مظاهر الشرعية العباسية من خلال الدعاء للخليفة على المنابر وضرب العملة باسمه. (ابن خلكان، ١٩٧٢، ص١١٢–١١٤).

وقد اعتبر المؤرخون هذا التأسيس بمثابة نشأة أول دولة إسلامية مستقلة في مصر منذ الفتح، اتخذت طابعاً إدارياً وعسكرياً خاصاً بها، وامتدت سلطتها إلى الشام لاحقاً، ممهدة بذلك لظهور نماذج لاحقة من الحكم المحلي المستقل في العالم الإسلامي.

١– التمكين الإداري والعسكري لأحمد بن طولون

بدأ أحمد بن طولون في ترسيخ سلطته في مصر من خلال السيطرة على الجهازين العسكري والمالي، مستغلاً ضعف السلطة العباسية المركزية، وأن أحمد بن طولون، بعد قدومه إلى مصر، بسط سيطرته أولاً على الجيش، حيث عمل على استقطاب الجنود الأتراك والمغاربة والسودانيين، وجعلهم تحت قيادته المباشرة، مما منحه قاعدة عسكرية صلبة. (ابن خلكان، ١٩٧٢، ص١١٢–١١٤).

أما إدارياً، فقد سعى إلى إحكام قبضته على موارد البلاد، خصوصاً حين تمكّن سنة ٢٥٦هـ من انتزاع ديوان الخراج من يد الوكيل العباسي ابن المدبر، وبذلك أصبح يجمع بين السلطتين العسكرية والمالية، وهو ما جعله الحاكم الفعلي لمصر، على الرغم من بقاء الصيغة الشكلية للولاء للخلافة، وأن أحمد بن طولون أنشأ مدينة القطائع لتكون مركزاً لحكمه، مستقلاً عن الفسطاط والعسكر، مما يرمز بوضوح إلى تأسيس كيان سياسي جديد له طابعه الخاص، وهي خطوة ذات طابع سياسي وعمراني تدل على ترسيخ الاستقلال الفعلي عن الخلافة العباسية. (المقريزي، ١٩٩٨، ص١٠–١٢).

٢– استقلاله التدريجي عن الخلافة العباسية:

لم يكن استقلال أحمد بن طولون عن الخلافة العباسية إعلاناً رسمياً، بل جاء بصورة تدريجية وذكية، مستفيداً من ضعف السلطة المركزية ببغداد وصراعات القادة الأتراك على الحكم، فإن أحمد بن طولون، بعد تثبيت نفوذه في مصر، استولى على ديوان الخراج سنة ٢٥٦هـ، وهو ما جعله يملك القرار المالي إلى جانب سلطته العسكرية، مما أضعف سلطة المندوبين العباسيين، ثم سعى بعد ذلك إلى بسط سلطته على الشام، مستغلاً الاضطرابات فيها، حيث سار إلى دمشق عام ٢٦٤هـ، وسيطر عليها دون أمر من الخليفة، ما شكل سابقة في التمرّد الصامت على بغداد، وقد حرص ابن طولون على الحفاظ على مظاهر الشرعية العباسية، فلم يقطع الدعاء للخليفة في الخطبة، ولم يضرب السكة (العملة) باسمه، لكنه تصرف فعلياً كحاكم مستقل، وأن بناء مدينة

القطائع كان أبرز صور الاستقلال، حيث أسس عاصمة جديدة لحكمه على غرار ما فعل الخلفاء في بغداد وسامراء، مما يعكس استعلاءه الرمزي على الفسطاط، مركز الحكم العباسي السابق. (الكندي، ١٩١٢، ص١٠٨–١١٠).

٣–توطيد الحكم وتوسيع النفوذ في الشام:

استغل أحمد بن طولون حالة التفكك التي كانت تمر بها الخلافة العباسية في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري ليوسّع نفوذه خارج مصر، وبشكل خاص نحو بلاد الشام، وأن أحمد بن طولون دخل دمشق سنة ٢٦٤هـ بعد أن طلب أهلها منه الحماية نتيجة لظلم العامل العباسي عليهم، فاستجاب لذلك دون الرجوع إلى الخليفة، في خطوة تُعدّ امتداداً فعلياً لاستقلاله الإداري والعسكري، ثم أعقب دخوله دمشق سيطرته على بقية مدن الشام مثل حمص وحماة، بل وصل نفوذه إلى الرقة، حيث أقام إدارة متكاملة في هذه المناطق، وعيّن ولاة من قبله، وبذلك أرسى سلطة فعلية لا تتبع لبغداد، وأن أحمد بن طولون لم يكن يتصرف كمجرد والٍ تابع، بل كحاكم مستقل يفرض سلطته ويؤمّن الحدود ويُصلح الطرق، ويدير شؤون الجباية والجيش دون الرجوع إلى الخلافة. (الكندي، ١٩١٢، ص١١٢–١١٤).

فقد اعتبر أن توسع أحمد بن طولون في الشام كان تتويجاً لحكمه المستقل في مصر، وأنه بذلك أصبح ينافس العباسيين على الهيمنة في المشرق الإسلامي، رغم إبقائه على مظاهر الشرعية الشكلية. (المقريزي، ١٩٩٨، ص١٥–١٧).

ثالثاً: أسباب انهيار الدولة الطولونية:

رغم ما بلغته الدولة الطولونية من قوة ونفوذ في عهد مؤسسها أحمد بن طولون وولده خمارويه، إلا أن هذا الكيان السياسي لم يدم طويلاً، فقد بدأ التراجع سريعاً بعد مقتل خمارويه سنة ٢٨٢هـ، وتشير الروايات التاريخية إلى أن الانهيار لم يكن ناتجاً عن غزو خارجي مباشر بقدر ما كان ثمرة طبيعية لعوامل داخلية متراكمة، أبرزها ضعف الخلفاء الطولونيين بعد خمارويه، والصراعات التي نشبت داخل الأسرة الحاكمة، إلى جانب الفساد الإداري وسوء تدبير موارد الدولة. (المقريزي، ١٩٩٨، ص٤٢–٤٥).

أن الحكام الذين تعاقبوا بعد خمارويه كانوا صغار السن، قليلي الكفاءة، وكانوا ألعوبة بيد قادة الجند، مما أدى إلى اضطراب الأوضاع في العاصمة، وتقلّص هيبة الحكم، بالإضافة إلى أن إفراط الدولة في الإنفاق على القصور والجند، مع تراجع الإيرادات نتيجة الفوضى، عجّل بانهيار النظام الطولوني، مما سهّل عودة مصر إلى الحكم العباسي سنة ٢٩٢هـ. (المقريزي، ١٩٩٨، ص٤٦–٥٢).

١-ضعف الخلفاء الطولونيين بعد أحمد بن طولون وولده خمارويه:

بعد مقتل خمارويه بن أحمد بن طولون سنة ٢٨٢هـ، دخلت الدولة الطولونية مرحلة من التدهور السريع، نتيجة لتولي الحكم من هم دون الكفاءة أو الخبرة، وأن من خلف خمارويه كان ابنه الصغير "جيش"، الذي لم يكن مؤهلاً سياسياً ولا عسكرياً، فكانت سلطته شكلية، وتولى أمر الدولة قادة الجند، مما أدى إلى انقسامات داخلية وفوضى إدارية. (ابن سعد، د.ت، ص٤١٦-٤١٧).

أن حكام الطولونيين الذين تعاقبوا بعد خمارويه كانوا ألعوبة في يد الأمراء، ويفتقرون إلى الشخصية القيادية، بل كانوا في أحيان كثيرة محط سخرية العامة والخاصّة، وهو ما أضعف هيبة الدولة ومكّن العباسيين لاحقاً من استعادة السيطرة على مصر، وأن الصراعات بين كبار القادة الطولونيين، وتنافسهم على السيطرة على العرش، أدت إلى تراجع الدولة من الداخل، وتفكك منظومتها العسكرية والإدارية، إلى أن سقطت سنة ٢٩٢هـ. (ابن تغري بردي، ١٩٣٠، ص٢٠-٢٢).

٢-التدخلات العباسية ومحاولات استعادة السيطرة

مع تدهور الحكم الطولوني في مصر بعد وفاة خمارويه وتوالي خلفاء ضعفاء من ذريته، بدأت الخلافة العباسية في بغداد تتحرك لاستعادة سلطتها على مصر والشام، وأن الخليفة العباسي المكتفي بالله أرسل في سنة ٢٩٢هـ حملة عسكرية بقيادة محمد بن سليمان الكاتب لاسترداد مصر وإنهاء الحكم الطولوني، وذلك بعد أن بلغت الخلافة أخبار التنازع والفوضى داخل الأسرة الطولونية. (ابن الجوزي، ١٩٩٢، ص١٤٩-١٥٠).

أن الحملة العباسية استطاعت دخول الفسطاط دون مقاومة تُذكر، نتيجة لانهيار التماسك العسكري الطولوني، وأن الأهالي استقبلوا القوات العباسية بالترحيب، بعد أن ضاقوا ذرعاً بالفوضى والظلم الذي ساد أواخر حكم الطولونيين، ولم يُبدِ القادة المتبقون من الطولونيين مقاومة تذكر، بل فر بعضهم، وتم القبض على آخرين، لتطوى بذلك صفحة أول دولة إسلامية مستقلة في مصر. (الذهبي، ٢٠٠٣، ص١٦٨-١٦٩).

٣-التدهور الاقتصادي والاضطرابات الداخلية:

في أواخر عهد الدولة الطولونية، بدأت مظاهر الانهيار الاقتصادي تتفاقم نتيجة الإسراف في النفقات العسكرية والقصور، وتراجع الإيرادات بسبب الفوضى الإدارية والاضطرابات الأمنية، وأن الإنفاق الكبير على الجند وشراء ولاء القادة أدى إلى إنهاك خزينة الدولة، في وقت تراجعت فيه الجباية بسبب ضعف الرقابة على الولايات وانتشار الفساد بين جباة الأموال، وأن الأسعار

ارتفعت، وتراجعت حركة الأسواق، واضطر الناس إلى بيع ممتلكاتهم لتأمين حاجاتهم الأساسية، خاصة بعد أن اضطرب الأمن وتكررت حوادث النهب والانفلات العسكري في العاصمة وخارجها، وقد ساهمت هذه العوامل مجتمعة في تقويض دعائم الدولة من الداخل، إذ أصبحت عاجزة عن دفع رواتب الجنود أو حماية السكان، وهو ما مهّد لانهيارها النهائي ودخول العباسيين إلى مصر. (ابن ميسر، ١٩٣٥، ص٩١–٩٣).

٤–فشل الإدارة الطولونية في الحفاظ على تماسك الدولة:

مع تصاعد الضعف السياسي والعسكري في أواخر عهد الطولونيين، فشلت الإدارة المركزية في الحفاظ على تماسك الدولة ومؤسساتها، وأن الدواوين الرئيسية أصبحت عاجزة عن تأمين انتظام الجباية وتوزيع الرواتب، ما تسبب في اضطرابات متكررة في الجيش، وتمرّد بعض الوحدات على الحكومة المركزية في القطائع، بل وصل الأمر إلى أن بعض القادة تصرفوا بشكل مستقل في ولايات الشام دون الرجوع إلى العاصمة. (النُّوَيري، ١٩٢٣، ص١١٨–١٢٠).

أن الانقسامات الإدارية وغياب الخبرة بين صغار الأمراء الذين حكموا بعد خمارويه، جعلت الدولة تعاني من سوء التنسيق بين الجهازين المالي والعسكري، إضافة إلى فشلهم في إدارة الأزمات الاقتصادية والسياسية، ما أسهم في انهيار هيبة الدولة بين السكان، وأدى إلى عودة الفوضى الإدارية التي مهّدت لتفكك بنيان الدولة. (القلقشندي، ١٩٦٣، ص٢١٢–٢١٤).

المبحث الثاني: المظاهر العمرانية في عهد الطولونيين

اولاً: القصور في عهد الطولونيين:

١–قصر أحمد بن طولون في القطائع:

أنشأ أحمد بن طولون قصره الشهير في مدينة القطائع التي أسسها سنة ٢٥٦هـ / ٨٧٠م، وجعلها مقرّاً لحكمه الجديد، منفصلاً بذلك عمرانياً وإدارياً عن مدينتي الفسطاط والعسكر، وأن هذا القصر كان ملاصقاً لجامعه المعروف باسمه، وكان يُشرف على ميدان فسيح أُعدّ للعروض العسكرية واستقبال الوفود، مما يعكس الطابع السلطوي والاحتفالي للمنشأة، وقد أُحيط القصر بعدد من الدواوين الإدارية، مما يدل على كونه مركز الحكم الفعلي للدولة الطولونية. (المقريزي، ١٩٩٨، ص٣٤–٣٧).

ويُلاحظ أن تخطيط القصر عكس الطابع المعماري العباسي، خصوصاً من حيث الاعتماد على الفناء المركزي وتوزيع الحجرات حوله، كما أشار ابن تغري بردي، الذي وصف فخامة البناء واتساعه وتفرّعه، رغم أن أغلب ملامحه لم تبقَ بسبب اندثار المدينة بعد سقوط الدولة الطولونية، وكان هذا القصر أحد رموز الاستقلال السياسي والمعماري عن بغداد، وجاء ليؤسس نموذجاً للحكم المحلي في مصر. (ابن تغري بردي، ١٩٣٠، ص٢٣–٢٤).

٢- تخطيط قصر أحمد بن طولون ووظائفه الإدارية والدينية:

تميّز قصر أحمد بن طولون في مدينة القطائع بتخطيط معماري يعكس روح التنظيم العباسي، حيث اتخذ القصر شكلاً مستطيلاً، يتمركز حول فناء داخلي واسع (صحن) يحيط به عدد من الحجرات والقاعات الكبرى المخصصة للوظائف الرسمية، إضافة إلى وحدات خدمية على الأطراف، وأن القصر شُيّد على مرتفع طبيعي في المدينة، مما جعله يعلو على بقية المباني، وهو ما يرمز إلى سلطته السياسية، كما بيّن أن المجلس السلطاني كان يعلو بجدرانه المذهّبة، ويحتوي على سرير الحكم، مما يُبرز الطابع الاحتفالي والسيادي للمنشأة. (ابن دحية، ١٩٩١، ص٦٤).

من الناحية الإدارية، أن القصر احتوى على عدد من الدواوين السيادية مثل ديوان الإنشاء، وديوان الجند، وديوان الخراج، وكانت تلك الدواوين تتوزع حول الفناء بنمط وظيفي يسمح بتكامل القرار الإداري داخل مركز السلطة، وقد خُصصت قاعة فسيحة لعقد مجلس الحكم الذي كان يعقده أحمد بن طولون مرتين أسبوعياً، بحضور القضاة وقادة الجند، ويُعرض فيه شؤون الولاية والخصومات الكبرى. (القلقشندي، ١٩٦٣، ص٢١٥-٢١٧).

أما من الناحية الدينية، فقد كان هناك باب خاص يربط القصر مباشرة بجامع أحمد بن طولون، يُستخدم لمرور الأمير إلى المسجد لأداء الصلاة وخطبة الجمعة، وكان المسجد يُستعمل كذلك لمناسبات الاحتفالات الرسمية الدينية كالمولد النبوي وعيدي الفطر والأضحى، ما يؤكد الدمج بين السلطة الدينية والسياسية في الفكر الطولوني، وقد كان هذا الاتصال المعماري المباشر بين القصر والمسجد من أبرز مظاهر التمازج بين الإدارة والدين في العمارة الإسلامية. (المقريزي، ١٩٩٨، ص٤٢-٤٤).

كما كان للقصر بوابات ضخمة تُشرف على ميدان العرض العسكري الواقع في الجهة الشمالية الشرقية، حيث كانت تُنظّم الاستعراضات العسكرية، ويُستقبل السفراء والوفود، وكان القصر بذلك يمثّل منظومة إدارية–عسكرية–دينية متكاملة، تعكس روح الدولة المركزية الطولونية التي سعت لتكريس استقلالها الفعلي عن الخلافة العباسية، كما يظهر من رمزية عمارة القصر. (ابن دحية، ١٩٩١، ص٦٦).

٣- العناصر الزخرفية والمعمارية في قصر أحمد بن طولون:

تميّز قصر أحمد بن طولون في القطائع باستخدام عناصر معمارية وزخرفية تعكس الطابع العباسي المتأثر بفنون العراق وسامراء، مع إدخال بعض الخصوصيات المحلية، وان عمارة القصر اعتمدت على الأقواس المدببة والمحرابيات المجوفة التي تُزيّن الواجهات، بالإضافة إلى النقوش الجصّية التي كانت تُستخدم بكثرة في الأعمدة والتيجان، وكانت النقوش تتكوّن من زخارف نباتية

وهندسية متداخلة، خالية من الصور الحيوانية، بما يتوافق مع الذوق الإسلامي السائد. (ياقوت الحموي، د.ت، ص٤١٦-٤١٨)

أن جدران القصر كانت تُزخرف بعبارات دينية كتبت بخط الكوفي، وبلغ من دقتها أنها كانت تُنحت نحتاً في الجصّ والرخام، كما استُخدم في بعض المواضع الطوب المحروق المزجّج لتزيين الواجهات الخارجية، وورد في وصفه أن الشبابيك كانت مزوّدة بشبكات خشبية منحوتة تُعرف بـ"الروشان"، تسمح بمرور الضوء والهواء دون كشف ما بداخل القصر. (القُضاعي، ١٩٩٨، ص٦٢-٦٣).

أن صالات الاستقبال الكبرى في القصر زُوّدت بأرضيات من الفسيفساء الحجرية ذات الزخارف الدقيقة، وأن الأعمدة كانت مغشّاة بالرخام الملوّن، تعلوها تيجان كورنثية مستوحاة من الطراز البيزنطي، مما يدل على تداخل التأثيرات المعمارية المحلية والعالمية، وتؤكد هذه العناصر أن قصر أحمد بن طولون لم يكن مجرد مقر للسلطة، بل تحفة فنية تمثّل بدايات العمارة الإسلامية الرسمية في مصر. (القلقشندي، ١٩٦٣، ص٢١٨-٢١٩).

ثانياً: الجوامع في عهد الطولونيين:

احتل المسجد الجامع في الفكر السياسي والديني لأحمد بن طولون موقعاً مركزياً، إذ لم يُنظر إليه كمعلم ديني فحسب، بل كأداة لترسيخ الهوية المستقلة للدولة الطولونية، وفي ضوء هذا التصور، أمر أحمد بن طولون ببناء واحدٍ من أضخم وأقدم الجوامع الإسلامية في مصر، جامع يُجسّد هيبة السلطة، ويتجاوز في تخطيطه ومعماره النماذج المحلية المعروفة، ليعكس التأثر الواضح بالطراز العباسي، خصوصاً في المئذنة والأسوار والفراغ الداخلي، وأن هذا الجامع بُني ليكون شامخاً في موضع مرتفع من القطائع، يُطلّ على المدينة الإدارية، ويُلاصق قصر الأمير، في رمز واضح لوحدة الدين والدولة. (المقريزي، ١٩٩٨، ص٤٧-٥٢).

١- جامع أحمد بن طولون:

يُعد جامع أحمد بن طولون من أبرز المعالم المعمارية التي خلفتها الدولة الطولونية، وقد بدأ بناؤه سنة ٢٦٣هـ / ٨٧٦م، واستُكمل في غضون ثلاث سنوات، وأن الجامع شُيّد على جبل يُعرف بـ"جبل يشكر"، ليكون منارة دينية وسياسية تطل على مدينة القطائع، وقد تميّز الجامع باتساعه الفريد، حيث اعتمد تخطيطه على النظام المربّع ذو الصحن المكشوف والإيوانات الأربعة، وهو نمط عباسي الأصل، ظهر في مساجد العراق وخصوصاً سامراء. (ياقوت الحموي، د.ت، ص٤١٩-٤٢١)

أبرز ما يميز الجامع مئذنته الحلزونية الشهيرة، وأنها مستوحاة من مئذنة الملوية في سامراء، مما يعكس مدى تأثير العمارة العباسية في مصر الطولونية، كما تميز المسجد باستخدام

الأقواس المدببة، والدعائم الضخمة، والزخارف الجصّية التي زُيّنت بها الجدران والنوافذ، وقد اتصل الجامع مباشرةً بقصر أحمد بن طولون من خلال باب خاص، مما مكّن الأمير من دخول المسجد دون المرور بالسوق أو الشوارع العامة، وتُشير بعض المصادر مثل القضاعي إلى أن الجامع لم يكن محلاً للصلاة فحسب، بل كان يُستخدم كذلك لعقد الاجتماعات العامة، وخطب الجمعة ذات البعد السياسي، ما يؤكد دوره المحوري في صياغة الهوية الدينية للدولة. (القُضاعي، ١٩٩٨، ص٦٤-٦٦).

ثالثاً: المدارس او (الكتاتيب ودور العلم) في عهد أحمد بن طولون:

رغم أن مفهوم المدرسة النظامية بمعناها المؤسسي لم يكن قد ظهر بعد في العصر الطولوني، فإن الدولة الطولونية اهتمت بتوفير البيئات التعليمية من خلال الكتاتيب ودور العلم وحلقات التعليم في المساجد، وأن أحمد بن طولون خصّص جزءاً من عنايته للمجال العلمي، من خلال تمويل الكتاتيب، وتوفير الرواتب للمعلمين، إلى جانب فتح الجامع الكبير لحلقات الفقه والتفسير، كما يُروى أن بعض القصور الملحقة بالمسجد كانت تُستخدم كمجالس للعلماء، حيث كان يُدعى إليها أهل الفقه والكلام والطب. (القُضاعي، ١٩٩٨، ص٨٢-٨٧).

١- مدى اهتمام الدولة الطولونية بالتعليم:

أولى أحمد بن طولون عناية خاصة بالتعليم في صورته التقليدية من خلال الكتاتيب والمساجد، حيث كانت الكتاتيب تُعد المؤسسة التعليمية الأساسية لتعليم الصغار مبادئ القراءة والكتابة والقرآن الكريم، وأن أحمد بن طولون أنشأ العديد من الكتاتيب في أحياء القطائع، وعيّن لها معلمين يتقاضون رواتب ثابتة من بيت المال، في محاولة لتقنين التعليم ووضعه تحت إشراف الدولة، وأن جامع أحمد بن طولون لم يكن للصلاة فقط، بل احتوى على حلقات علم منتظمة، كان يجلس فيها الفقهاء والمحدثون، وتُدرّس فيها كتب الفقه الحنفي والقراءات القرآنية، وهو ما يُعد نواة مبكرة لفكرة الجامع–المدرسة، وكانت بعض هذه الحلقات تُعقد بإشراف مباشر من الأمير أو أحد وزرائه، مما يدل على الاهتمام الرسمي بالعلم والدين معاً. (ابن تغري بردي، ١٩٣٠، ص٢٧-٣١).

أن أحمد بن طولون استقدم بعض الأطباء والمتعلمين من بغداد، ووفّر لهم بيئة إقامة ومجالس علمية داخل القطائع، كما أُشير إلى أنه كان يُجالس العلماء، ويُناظر بعضهم في مسائل الفقه، مما يُبرز انخراط السلطة الحاكمة في رعاية العلم وتعزيزه، ومن الملاحظ أن الاهتمام بالعلوم لم يقتصر على الدينية فقط، بل شمل الطب والفلك والمنطق، وهو ما يُعدّ سابقة في مصر الإسلامية آنذاك. (النُّوَيري، ١٩٢٣، ص١٢١-١٢٢).

٢- نماذج لمؤسسات تعليمية أو رعاية علمية في العهد الطولوني:

تُظهر شواهد العهد الطولوني أن أحمد بن طولون لم يكتفِ ببناء جامع القطائع كمعلم ديني، بل أرفقه بجملة من المرافق المخصصة للتعليم ورعاية المعرفة، حيث وجدت مبانٍ ملحقة بالجامع كانت تُستعمل لإقامة الطلاب الوافدين لحلقات العلم، وهو ما يدل على وجود نمط أولي لما يُعرف لاحقاً بـ"المدرسة–المسجد"، وقد خصّصت هذه الأبنية أيضاً لاستقبال العلماء الذين كانت الدولة تستدعيهم من العراق والحجاز، مما يجعلها بمثابة نُزُل علمية ذات طابع مؤسسي. (ياقوت الحموي، د.ت، ص٤٢١-٤٢٥)

أن أحمد بن طولون أنشأ داراً للعلم داخل القصر كانت تُعرض فيها الكتب، وتُدار فيها مناقشات بين الفقهاء في حضرة الأمير، وهو ما يُعدّ نموذجاً مبكراً للصالونات العلمية الرسمية، وكانت تُدار فيها القضايا الشرعية الكبرى، بعيداً عن القضاء التقليدي، وأن بعض أطباء البلاط الطولوني كانوا يدرّسون الطب والصيدلة في مجلسٍ خاص داخل القطائع، بدعم مباشر من الأمير، مما يشير إلى وجود بيئة علمية تتجاوز العلوم الدينية، وتشمل العلوم التطبيقية كذلك، وهو أمر نادر في تاريخ مصر قبل العصر الفاطمي. (ابن الجوزي، ١٩٩٢، ص١٥٣).

رابعاً: الربط (الأربطة)

١- استخدام الأربطة كمساكن للمتصوفة أو الجنود أو الفقراء في عهد الدولة الطولونية:

برز استخدام الأربطة في العصر الطولوني كأحد أشكال المنشآت الاجتماعية التي جمعت بين الوظائف الدينية والعسكرية والخيرية، وكان لها دور بارز في تنظيم الإقامة المؤقتة أو الدائمة لبعض الفئات المهمشة أو المرابطة، وأن أحمد بن طولون أنشأ عدة أربطة على أطراف مدينة القطائع، بعضها خصص لإيواء المرابطين من الجنود، وخصوصاً من كانوا على أهبة الاستعداد للانطلاق إلى الثغور الشامية، بينما خُصص بعضها الآخر لإقامة الفقهاء والوعّاظ الذين يُدعون لإلقاء الدروس في جامع القطائع. (القُضاعي، ١٩٩٨، ص٨٩-٩٢).

أن من بين هذه الأربطة ما خُصص للفقراء والعجزة، وكانت تدار من خلال أوقاف ثابتة تُصرف منها النفقات اليومية، وقد التزم الطولونيون بتعيين قيّمين للإشراف على النظام الداخلي فيها، وتوفير الطعام والكسوة، ويُلاحظ أن هذه الأربطة كانت تُبنى بالقرب من الجوامع والأسواق، بما يسمح بدمج هذه الفئات في الحياة العامة للمدينة دون عزل. (ياقوت الحموي، د.ت، ص٤٤٠).

أن بعض الأربطة استُخدمت كمقرات دائمة للمتصوفة والزهاد، خصوصاً الوافدين من العراق أو الشام، ما يشير إلى انفتاح الدولة الطولونية على التيارات الروحية والفكرية القادمة من المشرق، وتوفير الحماية لهم، وربما الاستفادة من خطابهم الديني في تعزيز مشروعية الحكم الطولوني. (المقريزي، ١٩٩٨، ص٣٧-٤٢).

٢- دور الأربطة في خدمة المجتمع والدولة في العهد الطولوني:

أدت الأربطة في العصر الطولوني دوراً مهماً في تحقيق التوازن بين الوظيفة الاجتماعية والدينية من جهة، وبين الضرورات العسكرية والإدارية للدولة من جهة أخرى، وأن الأربطة لم تكن مجرد مساكن مؤقتة، بل كانت مؤسسات ذات إدارة منظمة، تُدار من قبل قيّمين يراقبون شؤون الإقامة والنظافة وتوزيع الطعام والكسوة على القاطنين، خصوصاً الفقراء والعجزة وطلاب العلم الوافدين من الأقاليم المختلفة، كما كانت الأربطة جزءاً من السياسة الاجتماعية للدولة، التي هدفت إلى تعزيز ولاء الطبقات الدنيا وتحقيق الاستقرار الداخلي. (القُضاعي، ١٩٩٨، ص٥٥-٥٨).

أما من الناحية الدينية، فإن بعض الأربطة كانت مخصصة للزهاد والعبّاد، وتُقام فيها الصلوات الجماعية والذكر، وتُلقى فيها المواعظ، مما جعلها تُؤدي دوراً مشابهاً للخانقاهات التي ستظهر لاحقاً، وقد أصبحت بذلك مراكز روحية مؤثرة في المجتمع الطولوني، وساهمت في نشر الفكر الديني الرسمي، ولم تغفل الدولة الطولونية عن الدور العسكري للأربطة، إذ أُنشئ بعضها كمراكز استعداد للجنود، خاصة أولئك المرابطين في الثغور الشمالية. وان الأربطة العسكرية هي مواقع منظمة مزودة بالمخازن ومرافق للإقامة والتدريب، مما يشير إلى دمجها ضمن المنظومة الدفاعية للدولة. (ابن الجوزي، ١٩٩٢، ص١٥٤-١٥٥).

المبحث الثالث: أوجه التأثر العمراني للطولونيين

اولاً: التأثر بالعمارة العباسية:

١- تأثر جامع احمد بن طولون بمئذنة الملوية في سامراء:

شكّلت العمارة العباسية في العراق، لا سيما في مدينة سامراء، المصدر الأساسي الذي استلهمت منه الدولة الطولونية طابعها العمراني المميز، ويظهر هذا التأثر بوضوح في جامع أحمد بن طولون، خاصة في مئذنته الحلزونية التي تشابه إلى حد بعيد مئذنة الملوية في جامع سامراء، والتي مثّلت رمزاً للهيمنة البصرية والسلطة الدينية، وأن أحمد بن طولون تتلمذ على أساليب الحكم العباسي، ونقل كثيراً من أنماط البناء من بغداد وسامراء إلى القاهرة، مستعيناً ببعض البنّائين الذين خدموا في العمارة العباسية. (الخطيب البغدادي، د.ت، ص٢٢٠-٢٢١).

أن الفنون الزخرفية التي ظهرت في مباني القطائع، مثل المقرنصات الجصية، والعقود المدببة، والتخطيط المحوري للمساجد، هي تقليد مباشر لما كان سائداً في العراق زمن المعتصم والمتوكل. (ابن العديم، ١٩٨٨، ص٣١٢)، وأن مسجد أحمد بن طولون كان "عراقيّ النسق"، في إشارة واضحة إلى التأثر بالبناء العباسي، من حيث اتساع الإيوان، وطبيعة الأعمدة، واستعمال الجص المنقوش. (المقدسي، ٢٠٠١، ص١٩٧-١٩٨).

ويُعدّ هذا التأثر العمراني جزءاً من السياسة الثقافية للطولونيين، الذين سعوا لتأكيد انتمائهم الرمزي والسياسي للخلافة العباسية، مع فرض استقلال إداري فعلي، لقد شكّلت المعالم العمرانية آنذاك انعكاساً لهوية الدولة وموقعها من المركز العباسي.

٢- اعتماد التخطيط المفتوح والإيوانات في العمارة الطولونية:

تميّزت العمارة الطولونية، وخاصة في جامع أحمد بن طولون، باعتماد التخطيط المفتوح ووجود إيوانات رباعية تحيط بصحن المسجد، وهي عناصر استُمدّت من الطراز العباسي، وتحديداً من عمارة سامراء في العراق، وأن جامع أحمد بن طولون "عراقيّ النسق"، وأن الإيوان الشرقي كان أوسعها، مما يتفق مع ما عُرف عن مساجد العراق التي تعطي أهمية خاصة لإيوان القبلة. (المقدسي، ٢٠٠١، ص١٩٧-١٩٨).

أن أحمد بن طولون أمر بأن يكون المسجد مفتوحاً من جميع الجهات، بحيث لا تعوق الجدران حركة الهواء، في انسجام مع مناخ مصر، وهو ما يُظهر تأقلم التخطيط العباسي مع البيئة المحلية، وقد تمثلت هذه الفكرة في صحن فسيح تتوزع حوله الإيوانات، تعلوها عقود مدببة، وترتكز على دعامات قوية، تعكس التأثير العباسي بوضوح. (ياقوت الحموي، د.ت، ص٤١٨-٤١٩).

أن اعتماد الإيوانات لم يكن لأغراض معمارية فقط، بل كان له وظائف تربوية وعلمية، حيث كانت تُخصّص حلقات الدروس الفقهية داخلها، ما يجعل التصميم متعدّد الوظائف: ديني، علمي، وبيئي في آنٍ واحد. (القلقشندي، ١٩٦٣، ص٢٢٠-٢٢١).

٣- المواد المستخدمة: الطوب والجص في العمارة الطولونية وأثر النموذج العراقي:

كان اختيار المواد الإنشائية في العمارة الطولونية انعكاساً مباشراً للتقاليد العمرانية العباسية، وخاصة ما شاع في سامراء وبغداد، حيث كانت البيئة النهرية والموارد الطبيعية المتاحة تحدد إلى حدٍّ كبير نوعية المواد المستخدمة، وقد سار أحمد بن طولون على النهج نفسه عند تأسيس مدينة القطائع وبناء جامعها، إذ اعتمد بشكل رئيس على الطوب النيّئ والمشوي (الآجر)، وكذلك الجصّ المنقوش، وهي المواد نفسها التي شاع استخدامها في العراق العباسي. (ابن خرداذبه، د.ت، ص٩٤-٩٥).

أن المعماريين الذين جلبهم أحمد بن طولون من المشرق كانوا خبراء في "ضرب اللبن وصقل الجص"، وهي مهارات ارتبطت بصناعة البناء في العراق، حيث قلّ وجود الحجارة وكثر استعمال الطين المحروق والجصّ المصقول، وقد طُبّق ذلك في مصر من خلال أساليب مبتكرة في التزويق والزخرفة، حيث أُنتجت ألواح جصية مزخرفة مسبقاً تُثبت على الجدران، وهي تقنية ظهرت أولاً في قصور سامراء. (الثعالبي، د.ت، ص٢١٥- ٢١٦).

أن الجص لم يكن يُستعمل فقط كعنصر إنشائي، بل أيضاً كوسيط زخرفي يحمل كتابات بالخط الكوفي ونقوشاً هندسية متداخلة، وهي الملامح التي نراها بوضوح في جامع أحمد بن طولون، ويبدو أن المهندسين في مصر الطولونية لم يكتفوا بتقليد النمط العباسي، بل طوّروه ليناسب خصوصية المناخ المصري، فتم استخدام الجصّ في تشكيل نوافذ مشبّكة، تُتيح التهوية والضوء دون تعريض الداخل لحرارة الشمس. (ابن رُسته، ١٨٩٢، ص١٤٨).

أن الطوب الذي استُخدم في بناء القطائع كان يُضرب في قوالب معيارية تُنقل بعد جفافها إلى موقع البناء، بطريقة تشبه ما كان يُعمل به في العراق العباسي، مما يؤكد وحدة التقنية بين المركز العباسي والمقاطعة الطولونية، لا سيما في مشاريع الدولة الرسمية. (الهمذاني، ١٩٧٧، ص١٩٣-١٩٤).

ثانياً: التأثر بالعمارة المحلية المصرية (الفرعونية – القبطية):

١- التأقلم مع البيئة العمرانية في مصر:

لم يكن الطابع المعماري الطولوني مجرد استنساخ للعمارة العباسية، بل شهد تفاعلاً واعياً مع العمارة المحلية المصرية، وخاصة الفرعونية والقبطية، وهو ما أدى إلى نشوء طراز معماري فريد يعكس التأقلم مع البيئة والعمران المصري، وأن العمّال المحليين لعبوا دوراً أساسياً في تنفيذ المنشآت الطولونية، واستعانوا بمهاراتهم المتوارثة من العمارة القبطية، خصوصاً في بناء القباب، والفتحات الضيقة المعقودة، والنوافذ المشبكة بالحجر والخشب، وهي عناصر واضحة في جامع أحمد بن طولون. (ابن عبد الحكم، ١٩٦١، ص٢٠١-٢٠٢).

أن مسجد أحمد بن طولون يختلف عن المساجد المشرقية من حيث "امتداد الإيوان القبلي، وارتفاع القبب الجانبية"، ما يعكس تأثير العمارة القبطية التي كانت تعتمد على الفراغات العمودية والفتحات العلوية للإضاءة والتهوية، بما يتناسب مع مناخ مصر الجاف، كما لاحظ استخدام الأعتاب الحجرية بدلاً من التيجان الرخامية المستوردة، وهي تقنية محلية اشتهرت بها العمارة الفرعونية المتأخرة. (المقدسي، ٢٠٠١، ص١٩٩).

أن كثيراً من المواد المستخدمة في البناء الطولوني كانت مستخرجة من أطلال مبانٍ قبطية وفرعونية سابقة، وخاصة في بناء الأساسات والجدران الحاملة، مشيراً إلى "نقل حجارة منحوتة من بقايا كنائس قديمة لاستخدامها في مباني القطائع"، ويُظهر هذا السلوك بعداً عملياً واقتصادياً، لكنه أيضاً يكشف عن اندماج الطراز المحلي في المشروع السياسي والعمراني للطولونيين. (الكندي، ١٩١٢، ص١١٤-١١٥).

٢- استخدام العناصر المحلية في الزخرفة والمواد في العمارة الطولونية:

تميّزت العمارة الطولونية بقدرتها على دمج التأثيرات العباسية القادمة من المشرق مع عناصر الزخرفة والمواد المحلية المصرية، ما أدى إلى تشكّل طراز معماري متمايز عن غيره من أقاليم الدولة العباسية، وأن البناء في مصر اعتمد بدرجة كبيرة على الحجارة المحلية الجيرية، المستخرجة من الجبل الشرقي حول الفسطاط، وكذلك على الأخشاب النبطية التي كانت تُجلب عبر النيل، لتُستخدم في الأسقف والعقود، وهي مواد استخدمها الطولونيون بدلاً من الأعمدة الرخامية المستوردة التي شاع استخدامها في العراق. (الكندي، ١٩١٢، ص١١٥-١١٦).

أن كثيراً من الزخارف التي وُجدت في مباني القطائع، وخاصة في النوافذ والبوابات، كانت مستوحاة من الزخرفة القبطية، مثل الشبّاك المعقود والمخرّم بالحجر، والمقرنصات البسيطة المحفورة في الجص، ما يعكس توظيفاً عملياً للجماليات المصرية السائدة، وأكد أن بعض الحرفيين ممن عملوا في تلك الزخارف كانوا من المصريين الأقباط الذين احتفظوا بمهاراتهم التقليدية. (ابن عبد الحكم، ١٩٦١، ص٢٠١-٢٠٢). أن الجص المستخدم في الزخرفة لم يكن فقط وسيلة تغطية معمارية، بل تم تطويعه على الطريقة المصرية في تشكيل الزخارف النباتية المتداخلة ضمن إطار هندسي بسيط، يخلو من المبالغة التي كانت سائدة في الزخرفة المشرقية، مما يُبرز الحس المحلي الوظيفي والجمالي في آنٍ واحد. (ياقوت الحموي، د.ت، ص٤١٩).

ثالثاً: الإبداع الطولوني الخاص:

١- الدمج بين الطابع العباسي والخصوصية المصرية:

تميز المشروع المعماري الطولوني بأنه لم يقتصر على التقليد، بل قدّم صيغة مبتكرة تمزج بين الطابع الرسمي العباسي من حيث الهيكل والتخطيط، والخصوصية المصرية من حيث البيئة، والمواد، والخبرة الحرفية، لقد استطاع أحمد بن طولون أن يفرض طابعاً معمارياً خاصاً بمدينته القطائع، يتجاوز النقل الحرفي للنموذج العباسي ليُنتج ما يمكن وصفه بـ"الطراز الطولوني" الممهد للهوية المعمارية الإسلامية المصرية اللاحقة.

أن أحمد بن طولون راعى في عمارة القطائع "أحوال الهواء، ومجاري الرياح، ومرتفعات الأرض"، وهو ما يعكس تأقلماً معمارياً مع الجغرافيا المصرية، على خلاف مدن العراق ذات الطابع الصحراوي. (المسعودي، ٢٠٠٥، ص٩١). وتُظهر بقايا جامع أحمد بن طولون عناصر لا وجود لها في المساجد العباسية، مثل النوافذ العالية ذات المشربيات الحجرية، وتوظيف الضوء الطبيعي من خلال الفتحات الجانبية الصغيرة، وهي تقنيات تُشتق من العمارة القبطية والفرعونية. (ابن حوقل، ٢٠٠١، ص١٦٢-١٦٤).

أن الزخرفة المعمارية في القطائع، خصوصاً في الجدران والبوابات، لم تكتفِ بالنقوش الهندسية والكتابات الكوفية التقليدية، بل أُضيفت إليها عنصر التكرار المقطعي المعروف في الزخرفة القبطية، ما يدل على تلاقح فني مقصود، كما أن الاعتماد على الأسقف الخشبية المعقودة بالأقواس المدببة في المباني الإدارية داخل القصر. (الإصطخري، ١٩٨٠، ص٧٨-٧٩). كما وصفت لا تُرى في العراق، بل هو أسلوب مصري نابع من تقاليد البناء في دور العبادة المسيحية في صعيد مصر. (ابن حوقل، ٢٠٠١، ص١٦٢-١٦٤).

هذا التفاعل بين الطابع الرسمي العباسي والهوية المصرية، لم يكن مجرد ضرورة مادية، بل كان تعبيراً عن وعي سياسي وثقافي لدى الطولونيين، بأن شرعية سلطتهم في مصر لا تكتمل إلا بإنشاء طراز عمراني محلي يحاكي بغداد، لكنه يُثبت خصوصية واستقلال المركز المصري.

٢- مساهمة الطولونيين في تطوير الطراز المعماري الإسلامي في مصر

أسهمت الدولة الطولونية إسهاماً جوهرياً في تشكيل الطراز المعماري الإسلامي المصري المستقل، وذلك من خلال الجمع بين الأساليب الإنشائية القادمة من العراق العباسي، والتقنيات البنائية والزخرفية المحلية، ويُعد هذا التفاعل أول محاولة ناجحة لتوطين الفن المعماري الإسلامي في بيئة مصرية، بعيداً عن النماذج المنقولة حرفياً من بغداد أو الشام، ان جامع أحمد بن طولون "لا يُشبِهُه مسجد في ديار الإسلام"، وهي شهادة تدل على وعيٍ معماري خاص وابتكار في التخطيط والمواد. (المقدسي، ٢٠٠١، ص١٩٨).

أن استخدام الطولونيين للآجر والجص، بأسلوب موحَّد في كل من المسجد والقصر والرباطات، يُعد سبقاً في توحيد الطابع البنائي والزخرفي في مؤسسات الدولة، وهو ما مهد لاحقاً لما ستتبناه العمارة الفاطمية في القاهرة، ومن الملاحظ أن مئذنة جامع أحمد بن طولون، بتصميمها الحلزوني المتدرج، لم تُستخدم مجدداً في مصر، لكنها ظلت تُذكر كرمز للهوية المعمارية الطولونية المستقلة. (ابن رُسته، ١٨٩٢، ص١٤٩).

أن الطولونيين أدخلوا للمرة الأولى فكرة الفناء المركزي المنظَّم في المرافق غير الدينية، مثل الدواوين والقصور، ما يدل على نقل فكرة الصحن من المسجد إلى المؤسسات الرسمية، وهو تقليد سيتكرر لاحقاً في عمارة المماليك والعثمانيين.

ويُعدّ هذا الوعي الطولوني خطوة تأسيسية نحو تكوين مدرسة معمارية مصرية الطابع، ذات خصائص وظيفية وجمالية، استطاعت أن تجمع بين الانضباط العباسي والمرونة المحلية، فكانت بذلك اللبنة الأولى في بناء العمارة الإسلامية بمصر ككيان متكامل.

رابعًا: انعكاسات هذا التأثر على بقية المؤسسات:

١- القصور: تأثرها بالطابع العباسي في التنظيم الداخلي:

جاءت قصور الدولة الطولونية، وعلى رأسها قصر أحمد بن طولون في القطائع، امتداداً واضحاً للنموذج العباسي في تصميم المباني الرسمية، ولا سيما من **حيث** التنظيم الداخلي للفراغات، ووظائف الحجرات، وعلاقة القصر بالمؤسسات المحيطة به، أن القصر الطولوني شُيّد على نمط قصر الخلافة في سامراء، حيث تركزت القاعات الرسمية حول فناء مركزي واسع، بينما وُزعت الحجرات الإدارية على أطراف المبنى، وهو ما يُعرف بنمط "القصر–الديوان"، الذي ساد في العصر العباسي. (المسعودي، ٢٠٠٥، ص٩٣).

أن قصر أحمد بن طولون ضمّ مجالس خاصة للولاة والعلماء والكتّاب، وممرات تفصل بين الأقسام العامة والخاصة، ما يعكس تطبيقاً دقيقاً للتقسيم الطبقي الذي كان معمولاً به في قصور العباسيين، وقد استُخدمت هذه التنظيمات ليس فقط لضبط الحركة داخل القصر، بل لترسيخ التسلسل الهرمي للسلطة، وإظهار هيبة الأمير في مشهده العمراني، كما يظهر في قاعة العرش التي كانت تتوسط الجناح الشرقي، وتُفضي إلى ممر يصل مباشرة إلى الجامع. (ابن الفقيه الهمذاني، ١٩٩٦، ص١٤٠-١٤١).

أن تصميم القصر راعى كذلك مبادئ التوجيه المكاني، إذ كانت الواجهات تُطل على ميدان العرض، كما في قصر المعتصم في سامراء، وكان ذلك بهدف الدمج بين الوظيفة الإدارية والرمزية، بحيث يشكل القصر مركزاً حاكماً بصرياً وعملياً للمدينة، ومن هذا المنطلق، يتبين أن القصر الطولوني لم يكن مجرد استنساخ للنموذج العباسي، بل إعادة صياغة له داخل السياق المصري، مع إدخال بعض التعديلات المحلية على المواد والتفاصيل الزخرفية. (ياقوت الحموي، د.ت، ص٤١٩-٤٢٠).

٢- المدارس والربط: أخذ بعض النماذج من مؤسسات العراق:

تأثرت المؤسسات التعليمية والخيرية في العصر الطولوني، كالكتاتيب والأربطة، بالنماذج التي كانت منتشرة في الدولة العباسية، خصوصاً في بغداد وسامراء، من حيث الوظيفة، والتنظيم، والدور الاجتماعي والديني، أن الأربطة في العراق لم تكن مجرد مساكن للفقراء أو المتصوفة، بل كانت مؤسسات شبه رسمية، تحت إشراف الدولة، تؤدي دوراً دينياً وعسكرياً في آنٍ واحد، وهو النموذج الذي نقله الطولونيون إلى مصر، كما تجلّى في الأربطة المحيطة بجامع أحمد بن طولون وفي أطراف القطائع. (الإصطخري، ١٩٨٠، ص٨١-٨٢).

أن بعض الكتاتيب كانت تُلحق بالجوامع الكبرى، وتُموَّل من أوقاف مخصصة، وهو الأسلوب الذي اتبعه أحمد بن طولون حين أسس كتاتيب في أحياء القطائع وربطها بالمسجد، مع

تخصيص رواتب للمعلمين وتوفير الألواح والقرطاس، ما يشير إلى تقليدٍ مباشر للنموذج العباسي. (ابن رُسته، ١٨٩٢، ص١٤٩-١٥٠).

أن المؤسسات الخيرية في العراق كانت تُستخدم أيضاً لأغراض الضيافة واستقبال الوافدين من الأمصار، وهو ما حاوله الطولونيون تطبيقه في مصر من خلال تأسيس أربطة تخدم طلبة العلم والمتصوفة القادمين من الشام والحجاز، وتخصيص مشرفين لإدارتها. (الهمذاني، ١٩٧٧، ص١٩٥-١٩٦).

ويُلاحظ أن هذا التفاعل مع النموذج العباسي لم يكن مجرد نقلٍ شكلي، بل شهد تحويراً وظيفياً يتماشى مع طبيعة المجتمع المصري، مما يدل على وعي عمراني لدى الدولة الطولونية في دمج النموذج العباسي ضمن سياق محلي مصري.

٣- التأثير المعماري المستمر في الدولة الإخشيدية والفاطمية لاحقاً:

لم يكن الطراز العمراني الذي أرساه الطولونيون أثراً عابراً في تاريخ العمارة الإسلامية بمصر، بل مثّل قاعدة أساسية استمر تأثيرها في الدول اللاحقة، خصوصاً في العهدين الإخشيدي والفاطمي، فقد حافظت الدولة الإخشيدية، التي ورثت مصر بعد الطولونيين، على كثير من الملامح المعمارية الطولونية، مثل التخطيط المفتوح للمساجد، واعتماد المحراب البارز، واستخدام الأقواس المدببة، أن الإخشيديين حافظوا على عمارة القطائع، واستخدموا بعض منشآتها في إدارة الحكم. (المسعودي، ٢٠٠٥، ص٩٥).

أما في العصر الفاطمي، فقد بلغت العمارة الإسلامية المصرية نضجها الفني، إلا أن العديد من ملامحها الأساسية تعود جذورها إلى الطراز الطولوني، أن الجامع الأزهر تأثر من حيث التنظيم الداخلي بجامع أحمد بن طولون، لا سيما في اتساع الإيوان القبلي وتوزيع الدعائم بشكل هندسي منتظم. (المقدسي، ٢٠٠١، ص١٩٩). أن مئذنة الجامع الطولوني كانت نموذجاً مرجعياً في تصميم بعض المآذن الفاطمية الأولى، رغم تطورها لاحقاً في الشكل والوظيفة. (ياقوت الحموي، د.ت، ص٤٢٠).

أن المعماريين في العصر الفاطمي كانوا يتعلّمون من تصميم جامع أحمد بن طولون، ويعتبرونه "المرجع الأول للعمارة الكبرى في مصر"، وهو ما يؤكد أن الطراز الطولوني لم يكن فقط نموذجاً محلياً مؤقتاً، بل أحد روافد الهوية المعمارية الإسلامية المصرية التي تطورت لاحقاً على يد الفاطميين والمماليك. (ابن ظافر الأزدي، ١٨٨٨، ص١٣٣).

الاستنتاجات:

١. شكّل ظهور الدولة الطولونية أول تجربة استقلال سياسي وإداري عن الخلافة العباسية في مصر، مستفيداً من ضعف المركز العباسي، مما جعلها نواة لنشوء أنظمة حكم محلية في العالم الإسلامي.

٢. اعتمد أحمد بن طولون على إستراتيجية ذكية للاستقلال التدريجي عن بغداد، حيث رسّخ سلطته عبر السيطرة على الجيش والمالية، مع الحفاظ على مظاهر الشرعية العباسية.

٣. اتسمت الدولة الطولونية ببنية إدارية–عسكرية متكاملة، تمثلت في إنشاء مدينة القطائع، وقصر الحكم، والمسجد الجامع، مما يعكس الوعي المؤسسي ببناء دولة مستقرة.

٤. تميزت العمارة الطولونية بمزج فريد بين الطراز العباسي والتقاليد المعمارية المصرية (القبطية والفرعونية)، مما أنتج طرازاً محلياً أصيلاً مهّد للهوية المعمارية الإسلامية في مصر.

٥. كان لجامع أحمد بن طولون دور محوري في تأكيد الهوية السياسية والدينية للدولة الطولونية، إذ تجاوز كونه مكاناً للعبادة ليصبح مؤسسة تعليمية وسياسية وإدارية.

٦. أظهرت الدولة الطولونية اهتماماً ملحوظاً بالتعليم والرعاية العلمية، من خلال الكتاتيب، وحلقات الفقه، واستقدام العلماء، وهو ما يدل على دور الثقافة في تعزيز شرعية الحكم.

٧. ساهمت مؤسسات مثل الأربطة في دعم التوازن الاجتماعي والعسكري والديني للدولة، مما يعكس وعياً وظيفياً بالعمارة كأداة سياسية وتنظيمية.

قائمة المصادر:

ابن الأثير، عز الدين علي بن محمد بن محمد الشيباني. (د.ت). الكامل في التاريخ. دار صادر. بيروت. لبنان.

ابن العديم، كمال الدين عمر بن أحمد بن هبة الله. (١٩٨٨). بغية الطلب في تاريخ حلب. الجزء الثاني. تحقيق سهيل زكار. دار الفكر. دمشق. سوريا.

ابن سعد، محمد بن سعد بن منيع البصري الزهري. (د.ت). الطبقات الكبرى. دار صادر. بيروت. لبنان.

ابن عبد الحكم، عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم. (١٩٦١). فتوح مصر وأخبارها. تحقيق عبد المنعم عامر. دار الكتاب العربي. القاهرة. مصر.

ابن الفقيه الهمذاني، أبو بكر أحمد بن محمد. (١٩٩٦). البلدان. تحقيق يوسف الهادي. دار الغرب الإسلامي. بيروت. لبنان.

ابن ميسر، محمد بن عبد الله. (١٩٣٥). أخبار مصر. تحقيق حسن حسني عبد الوهاب. المطبعة التونسية. تونس.

ابن حوقل، محمد بن حوقل النصيبي. (٢٠٠١). صورة الأرض. تحقيق جميل زكار. دار الفكر. بيروت. لبنان.

ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر. (١٩٧٢). وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان. الجزء الأول. تحقيق إحسان عباس. دار صادر. بيروت. لبنان.

ابن خرداذبه، أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله. (د.ت). المسالك والممالك. دار عالم الكتب. بيروت. لبنان.
ابن دحية، أبو عبد الله محمد بن علي بن محمد. (١٩٩١). المطرب من أشعار أهل المغرب. تحقيق إحسان عباس. دار الغرب الإسلامي. بيروت. لبنان.
ابن رسته، أحمد بن عمر. (١٨٩٢). الأعلاق النفيسة. تحقيق وتعليق دي خويه. مطبعة بريل. لايدن. هولندا.
ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن محمد. (١٩٩٢). المنتظم في تاريخ الملوك والأمم. الجزء الثالث عشر. تحقيق محمد عبد القادر عطا. دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان.
ابن تغري بردي، جمال الدين يوسف بن تغري بردي. (١٩٣٠). النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة. الجزء الثالث. دار الكتب المصرية. القاهرة. مصر.
الرافعي، عبد الرحمن. (١٩٣٣). تاريخ الدولة الطولونية في مصر وسوريا. الطبعة الأولى. مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر. القاهرة. مصر.
الشيال، جمال الدين. (١٩٧٦). تاريخ مصر الإسلامية من الفتح العربي إلى العصر الفاطمي. الطبعة الثانية. دار المعارف. القاهرة. مصر.
الطبري، محمد بن جرير. (١٩٦٧). تاريخ الرسل والملوك. تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. دار المعارف. القاهرة. مصر.
القلقشندي، أحمد بن علي. (١٩٦٣). صبح الأعشى في صناعة الإنشا. الجزء الثالث. وزارة الثقافة والإرشاد القومي. دار الكتب. القاهرة. مصر.
القضاعي، القاضي المؤرّخ أبو عبد الله محمد بن سلامة بن جعفر. (١٩٩٨). خطط مصر. تحقيق أيمن فؤاد سيد. الهيئة المصرية العامة للكتاب. القاهرة. مصر.
المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين. (٢٠٠٥). مروج الذهب ومعادن الجوهر. تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد. المكتبة العصرية. بيروت. لبنان.
المقدسي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد. (٢٠٠١). أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم. تحقيق د. كرامة فرحات. دار صادر. بيروت. لبنان.
المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي. (١٩٩٨). الخطط المقريزية (المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار). الجزء الثاني. تحقيق محمد زينهم محمد عزب. الهيئة المصرية العامة للكتاب. القاهرة. مصر.
النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب. (١٩٢٣). نهاية الأرب في فنون الأدب. الجزء الثالث والعشرون. دار الكتب المصرية. القاهرة. مصر.
الياقوبي، أحمد بن أبي يعقوب. (٢٠٠٢). تاريخ اليعقوبي. الجزء الثاني. تحقيق عبد الأمير مهنا. دار صادر. بيروت. لبنان.
الخطيب البغدادي، أحمد بن علي بن ثابت. (د.ت). تاريخ بغداد. الجزء الخامس. دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان.
الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان. (٢٠٠٣). تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام. الجزء الثاني والعشرون. تحقيق بشار عواد معروف. دار الغرب الإسلامي. بيروت. لبنان.
الهمداني، أبو محمد الحسن بن أحمد. (١٩٧٧). صفة جزيرة العرب. تحقيق محمد الحبيب. دار اليمامة. بيروت. لبنان.

الكندي، محمد بن يوسف. (١٩١٢). ولاة مصر. تحقيق ر. گستن. دار الفنون. القاهرة. مصر.

ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي البغدادي. (د.ت). معجم البلدان. الجزء الرابع. دار صادر. بيروت. لبنان.

Ibn al-Athir, ‘Izz al-Din ‘Ali ibn Muhammad ibn Muhammad al-Shaybani. (n.d.). Al-Kamil fi al-Tarikh. Dar Sader. Beirut. Lebanon.

Ibn al-‘Adim, Kamal al-Din ‘Umar ibn Ahmad ibn Hibat Allah. (1988). Bughyat al-Talab fi Tarikh Halab. Vol. 2. Edited by Suhayl Zakkar. Dar al-Fikr. Damascus. Syria.

Ibn Sa‘d, Muhammad ibn Sa‘d ibn Mani‘ al-Basri al-Zuhri. (n.d.). Al-Tabaqat al-Kubra. Dar Sader. Beirut. Lebanon.

Ibn ‘Abd al-Hakam, ‘Abd al-Rahman ibn ‘Abd Allah ibn ‘Abd al-Hakam. (1961). Futuh Misr wa Akhbaruha. Edited by ‘Abd al-Mun‘im ‘Amir. Dar al-Kitab al-‘Arabi. Cairo. Egypt.

Ibn al-Faqih al-Hamadhani, Abu Bakr Ahmad ibn Muhammad. (1996). Al-Buldan. Edited by Yusuf al-Hadi. Dar al-Gharb al-Islami. Beirut. Lebanon.

Ibn Maysar, Muhammad ibn ‘Abd Allah. (1935). Akhbar Misr. Edited by Hasan Husni ‘Abd al-Wahhab. Tunisian Press. Tunis.

Ibn Hawqal, Muhammad ibn Hawqal al-Nasibi. (2001). Surat al-Ard. Edited by Jamil Zakkar. Dar al-Fikr. Beirut. Lebanon.

Ibn Khallikan, Abu al-‘Abbas Shams al-Din Ahmad ibn Muhammad ibn Abi Bakr. (1972). Wafayat al-A‘yan wa Anba’ Abna’ al-Zaman. Vol. 1. Edited by Ihsan ‘Abbas. Dar Sader. Beirut. Lebanon.

Ibn Khurradadhbih, Abu al-Qasim ‘Ubayd Allah ibn ‘Abd Allah. (n.d.). Al-Masalik wa al-Mamalik. Dar ‘Alam al-Kutub. Beirut. Lebanon.

Ibn Dihya, Abu ‘Abd Allah Muhammad ibn ‘Ali ibn Muhammad. (1991). Al-Mutrib min Ash‘ar Ahl al-Maghrib. Edited by Ihsan ‘Abbas. Dar al-Gharb al-Islami. Beirut. Lebanon.

Ibn Rustah, Ahmad ibn ‘Umar. (1892). Al-A‘laq al-Nafisa. Edited by De Goeje. Brill Press. Leiden. Netherlands.

Ibn al-Jawzi, ‘Abd al-Rahman ibn ‘Ali ibn Muhammad. (1992). Al-Muntazam fi Tarikh al-Muluk wa al-Umam. Vol. 13. Edited by Muhammad ‘Abd al-Qadir ‘Ata. Dar al-Kutub al-‘Ilmiyya. Beirut. Lebanon.

Ibn Taghribirdi, Jamal al-Din Yusuf ibn Taghribirdi. (1930). Al-Nujum al-Zahira fi Muluk Misr wa al-Qahira. Vol. 3. Dar al-Kutub al-Misriyya. Cairo. Egypt.

Al-Rafi‘i, ‘Abd al-Rahman. (1933). Tarikh al-Dawla al-Tuluniyya fi Misr wa Suriyya. 1st ed. The Committee for Authorship, Translation, and Publication Press. Cairo. Egypt.

Al-Shayyal, Jamal al-Din. (1976). Tarikh Misr al-Islamiyya min al-Fath al-‘Arabi ila al-‘Asr al-Fatimi. 2nd ed. Dar al-Ma‘arif. Cairo. Egypt.

Al-Tabari, Muhammad ibn Jarir. (1967). Tarikh al-Rusul wa al-Muluk. Edited by Muhammad Abu al-Fadl Ibrahim. Dar al-Ma‘arif. Cairo. Egypt.

Al-Qalqashandi, Ahmad ibn ‘Ali. (1963). Subh al-A‘sha fi Sina‘at al-Insha’. Vol. 3. Ministry of Culture and National Guidance, Dar al-Kutub. Cairo. Egypt.

Al-Quda‘i, Qadi Abu ‘Abd Allah Muhammad ibn Salama ibn Ja‘far. (1998). Khitat Misr. Edited by Ayman Fu’ad Sayyid. Egyptian General Book Authority. Cairo. Egypt.

Al-Mas‘udi, Abu al-Hasan ‘Ali ibn al-Husayn. (2005). Muruj al-Dhahab wa Ma‘adin al-Jawhar. Edited by Muhammad Muhyi al-Din ‘Abd al-Hamid. Al-Maktaba al-‘Asriyya. Beirut. Lebanon.

Al-Maqdisi, Shams al-Din Abu ‘Abd Allah Muhammad ibn Ahmad. (2001). Ahsan al-Taqasim fi Ma‘rifat al-Aqalim. Edited by Dr. Karama Farhat. Dar Sader. Beirut. Lebanon.

Al-Maqrizi, Taqi al-Din Ahmad ibn ‘Ali. (1998). Al-Khitat al-Maqriziyya (Al-Mawa‘iz wa al-I‘tibar bi Dhikr al-Khitat wa al-Athar). Vol. 2. Edited by Muhammad Zaynhum Muhammad ‘Azab. Egyptian General Book Authority. Cairo. Egypt.

Al-Nuwayri, Shihab al-Din Ahmad ibn ‘Abd al-Wahhab. (1923). Nihayat al-Arab fi Funun al-Adab. Vol. 23. Dar al-Kutub al-Misriyya. Cairo. Egypt.

Al-Ya‘qubi, Ahmad ibn Abi Ya‘qub. (2002). Tarikh al-Ya‘qubi. Vol. 2. Edited by ‘Abd al-Amir Muhanna. Dar Sader. Beirut. Lebanon.

Al-Khatib al-Baghdadi, Ahmad ibn ‘Ali ibn Thabit. (n.d.). Tarikh Baghdad. Vol. 5. Dar al-Kutub al-‘Ilmiyya. Beirut. Lebanon.

Al-Dhahabi, Shams al-Din Muhammad ibn Ahmad ibn ‘Uthman. (2003). Tarikh al-Islam wa Wafayat al-Mashahir wa al-A‘lam. Vol. 22. Edited by Bashshar ‘Awwad Ma‘ruf. Dar al-Gharb al-Islami. Beirut. Lebanon.

Al-Hamadhani, Abu Muhammad al-Hasan ibn Ahmad. (1977). Sifat Jazirat al-‘Arab. Edited by Muhammad al-Habib. Dar al-Yamama. Beirut. Lebanon.

Al-Kindi, Muhammad ibn Yusuf. (1912). Wulat Misr. Edited by R. Guest. Dar al-Funun. Cairo. Egypt.

Yaqut al-Hamawi, Shihab al-Din Abu ‘Abd Allah Yaqut ibn ‘Abd Allah al-Rumi al-Baghdadi. (n.d.). Mu‘jam al-Buldan. Vol. 4. Dar Sader. Beirut. Lebanon.